الانسان الخفي

تابع صفحة ٤٠٨

زرت من مدة بعض مدن الداخلية وقراها اوغلت في قلب سوريا لاحظت التاجر والفلاح تأملت في الملاك والصانع استطلعت مكامن انسانهم الخفي وكنت راقبت قبيلئذ بعض المشارقة مجتازين بيروت الى مواطنهم وتمثلت ما اعلم من ادواء النفوس في الشرق ومن صميم قلب مألوم همست في اذن صحافي ما لم يسعه الا اعلانه. والحق يجب ان يقال ولو اثار بعض الافكار

قلت ان تكاثر الاديان في الشرق ليس بنافع للفخر ولا هو سبيل للتبجح والمباهاة لان الشرقيين لو لم يكونوا باشد احتياج الى مهذب روحي لما تعداهم الله بالاديان بهذا المقدار ولما تعدد اولياؤهم وكثر بينهم الرسل والانبياء

بماذا يفرق الانسان عن الحيوان أبجسمه ام بروحه ؟ بماذا يقرب من الله ويتمثل بهيئته ؟ ما الذي يحركه ويديره .

لا تفتروا يا سادتي بالانسان الظاهر لا تكتفوا بجودة البنية وقوة العضلات لا بتورد الخدود وكبر العيون لا بالحلى ولا بالمال لا .. لا ترجوا نفعاً الا بالروح بالنفس فقط تعمدوا التحسين . بالقلب بالعقل بالضمير بهذا الانسان الخفي تطلبوا الرقي ....

مهما تحسنت الاملاك مهما توسعت المتاجر . مهما اتقنت الصناعة وتوفرت اسباب الراحة للجسم عبثاً نشعر بسعادة اذا لم تتهذب النفوس وتتسع العقول

عبثاً نطلب التحسين في الناس ان لم يكن مصدره الروح

شريعة المسيح كلها للانسان الخفي لا للظاهر . احبوا بعضكم بعضاً . احبوا

مبغضيكم باركوا لاعنيكم . اني افضل لكم اذا احبتم من يحبكم . افعلوا بالناس ما تريدوا ان يفعل الناس بكم . وان لم تصيروا مثل هؤلاء الصغار (بطهارة النفس طبعاً) لا ترثوا ملكوت السماء . . ما معنى هذه الآيات ؟ لاي من الانسانين قالها الخفي ام الظاهر .

بوذا المشترع الهندي . موسى والانبياء اسرائيل ورسل المسيح . جميع المشترعين في الارض عالجوا ادواء الانسان الخفي قبل الظاهر . وما يتراآى للبعض من الاكتفاء احياناً بالظاهر ليس الا تاييداً لما اختص بالخفي لان الناس يستسهلون التعلق بالمحسوس وبعضهم لا يأتمرون الاَّ به

كثرت الاديان في الشرق من قديم الزمان والاديان مهذبة للنفوس مرقية لها واليوم لم يزل الشرق يئن من المفاسد يتأوه من الانحطاط الى اليوم لا تزال عبيداً للشر والدين يامر بالخير . ما السبب في الجمود . ما العامل على هذا التقهقر . أقلقة قابلية فينا للتدين او اقلقة استعداد للترقي . لا لا . لا هذا ولا ذاك وانما التدين عندنا على انواعه المعرفة لم يعد ملامساً للروح . ورجاله لا يحسنون تعليمه باساليب روحية

عادات وطقوس اصبحت اليوم عندنا مكان الدين . ورؤساء وزعماء بدلاً من المرشدين والمدبنين

سمعت بالامس قسيساً يدعو للدولة بالخير . يدعو بتحسين الاحوال في البانيا وفي اليمن بين البدو والحضر . سمعته يلفظ الدعاء بعاطفة رايتها قلبية . فقلت لو كان جميع القسس والمشايخ يشعرون مثل هذا الشعور لكنا بالف خير وسعادة . لماذا خالف هذا الرجل امثاله من خدمة الاديان بالدعاء لمن هو من غير ملته فرأيت انسانه الخفي مدركا حقيقة الدين وفاهماً قوة الاخاء بين الناس فتثبت

مثل هذا لجميع المشايخ والقسس

سمعت في هذين اليومين ثناء جميلاً على متصرف هذه المدينة ولم ار من الطرابلسيين غير المعجبين باعماله . وهو تركي من القوم الذين يشكو البعض منهم لا يعرف العربية ولا آلف عادات السكان ومع ذلك اعماله موجهة لخير البلدة واخلاصه بادئ فيها ولماذا . اليس لان انسانه الخفي مستنير راق

انقلبت احكام الدولة وتبدل الاستبداد المطلق بالشورى والقانون فاغتر بعض العثمانيين وظنوا التحسين بتغيير المأمورين فناصروا الحكومة الجديدة واذ لم يروا الاصلاح في الحال انقلب بعضهم عليها وتوهموا البائدة احسن منها

على ان العثمانيين لم يتغيروا بعد وانسانهم الخفي لم يكد يلمس . وهل ترجون تحسيناً والامة لا تساعد الحكومة حتى بما يطلب منها لها

عبثاً كل انقلاب سياسي لا يصحبه انقلاب روحي عبثاً كل تحسين يطلب من غير النفس . يشكون من بقاء بعض الامور على حالها يشكون من الرشوة من الاستبداد من التعصب الجنسي والتفريق بين العناصر . وهم لو دروا لشكوا من الانسان الخفي في كل عثماني . ومن منا بلا خطيئة فليرجم هذه الحكومة بحجر

قال جبران خليل جبران الكاتب المشهور — علموا اولادكم الرجولية الحقيقية فلا يهمهم اذ ذاك خلع عبد الحميد ام لم يخلع . هذبوهم حسناً يعيشون في ظل الحكومة الظالمة والعادلة على حدّ سوى . حرروهم من عبودية التقليد والتقاليد يظلون احرار في القيود وفي السجون

نحن السوريين نحن الذين شربنا الخل بدلاً من الخمر . نحن الذين اكلنا الشوك بدلاً من الثمر نحن الذين جرينا القيود لما كان غيرنا يجر الحرير والبرفير . نحن السوريين . نحن الذين بنينا القصور وسكنا الكهوف والقبور علينا ان

نحرر نفوسنا من عبودية الماضي كي لا نكون اجساداً بلا ارواح · علينا ان نسير منفردين مستوحدين نحو قمة الجبل ومن لا يسير رافعاً رأسه يظل عبداً لنفسه ومن كان عبداً لنفسه لن يصير حراً · فالحرية شعاع ينبعث في داخل الانسان ولا ينسكب من الخارج · اكتسبوا المال طالعوا الجرائد اسسوا الجمعيات تعلموا الصنائع والفنون و كونوا تظيفي النفوس والاجساد فهذه هي الامور التي تصيركم رجالاً احراراً اشداء وسيدات جميلات راقيات

جبران خليل جبران يا سادتي عثماني من لبنان لم يحمله على اليأس بقاء حال الدولة على ما هي بيننا الملايين من العثمانيين يائسون · ما السر في هذا ؟ اليس لاختلاف انسانه الخفي عن انسانهم الخفية

الفلاح اصح بنية من المدني واجود عافية ولكنه ابلد منه واحط · ما يراه هذا حسناً لا يراه ذاك وما يستقبحه الثاني يستحسنه الاول · وكل انسان ظاهر مسير بانسانه الخفي

ان اللسان يتكلم بما في القلب · والقلب مبعث العواطف وعواطفه بنت التربية والتعليم والوراثة والاحوال وهو محتاج الى ارشاد العقل والعقل محتاج الى مراقبة الضمير وكل من الثلاثة مرتبط بالآخر كسلسلة متصلة الحلقات وهذه الثلاثة قوى في الانسان هي ما يعبر عنها بالنفس والنفس كل الانسان

نرى اثنين متماثلين بالثروة وبالمقام ونرى بينهما بوناً شاسعاً لاختلاف انسانيهما الخفيين نرى صورتين لمصور واحد ونؤثر احداهما على الثانية لما تمثله فيها من دلائل الحياة التي لا نراها بتلك

الزهرة الصناعية مهما كانت جميلة لا تؤثر في النفس كالطبيعية ولوشوكت الوجه الجميل مهما بلغ من الجمال لا يستميل النفوس الا بما يتراءى في عينيه

من جمال الروح ولكم من وجوه لا جمال فيها تسبي النواظر بجمال عينيها والعين احدى مظاهر الانسان الخفي

المحبة لا تحلو الا بين النفوس ولا يعذب الحب الا روحياً والوفاق لا يكون الا بالحب ولا سعادة الا ما اوحت بها النفس ولا نفس الا وفيها شعاع من نور الله.

هذه شريعتي يا سادتي . لا تحسبوها من سقط المتاع . ليست كفرا ولا بدعة . من الازل كانت والى الابد تكون و كلنا مسيرون فيها آمنا بها او كفرنا.

الحجاب

ما اجهل واظلم اولئك الذين يتهمون النبي محمداً باحداثه الحجاب وامره به لاتباعه فالحجاب وجد في الشرق قبل النبي بمدة طويلة ومحمد لم يأمر به ولم يضعه على طريقته المتعارفة اليوم بين المسلمين والحجاب ايضاً لم يكن معروفاً عند العرب الاحرار والتاريخ يدلنا دلالة واضحة لا تدع شكاً في نفس مرتاب على ان نساء النبي ونساء خلفائه كن يتبعن ازواجهن في اسفارهم وغزواتهم وعائشة زوجة النبي قادت الجنود بعد وفاته وقد انتشر الحجاب بين العرب بعد وفاة النبي بمدة طويلة عندما اختلطوا بالشعوب الاخرى في اثناء فتوحاتهم واخذت اخلاقهم وعاداتهم بعد ذلك تفسد رويداً رويداً بسبب ذلك الاختلاط وما جنوه من الثروة الواسعة التي قادتهم الى معيشة البذخ والترف

«احمد بك احايف»